قضى هذان العاهلان فى حكم مصر نحو ثمانى سنوات كانا فى خلالها صاحبى الأمر والسلطان وقسما بينهما أمور الدولة عن تراضى وتفاهم ، فذهب أولهما بتدبير شئون الإدارة والحرب وما إليها من مظاهر السلطة ، وذهب الآخر بالقيام على الشئون المدنية والعمل على تآلف القلوب وتقوية دعائم الحزب وإظهار أبهة الملك .

ولاحت فى مصر عند ذلك بشائر الازدهار الذى يصحب عصور الاستقلال المستقر ، فأينعت التجارة ، وعم الرخاء ، وظهرت أبهة الملك المصرى ، وكانت من آيات مجد ذلك العصر تلك النهضة الأدبية الكبرى التى كان مركزها وقطبها فى دار رضوان بك ، وكان لها أكبر دافع من أسلوب حياة هذا الأمير العظيم وحبه للأدب ، وانصرافه إلى حياة النعيم واللهو ، وساعد على تلك النهضة ، رخاء حال البلاد وكثرة خيراتها ، واستقامة خلق أهلها ، وانصرافهم إلى الجد والعمل المنتج فى كل النواحى .

كما أن إبراهيم كان فى هيمنته على شئون البلاد ومصالحها وحمايتها ، رجلا قوى الشكيمة ذا غناء وبلاء ونفوذ رأى وبعد نظر ، وإنه لمما يبعث على الاعتقاد باستقرار الأمور له وتمكنه من السلطة وانقياد البلاد والأحزاب له ، أنه مات حتف أنفه ، لم يقتل ولم يكد له أحد كبيرا عظيما ، غير أنه لما مات ، ذهب سيف الدولة وجنديها ، وبقى علمها رضوان بغير حام يدفع عنه . وكان رضوان بك على ما فيه من التآلف والتودد غير كفء لأصحاب المطامع من الأمراء فما مضت ستة أشهر حتى تحركت عليه الأحزاب ، وتطلع المنافسون إلى سلطانه ، وأخذوه